Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فأبو العلاء كان يعارض البلغاء ويحب أن يأتى بما لم تآت به الأوائل كما قال ، ولا يستهويه باب من أبواب المعارضة كما يستهويه ذلك الباب الذى اختاره الشعراء لإظهار علمهم بغريب اللغة ودرايتهم بالحياة « الأعرابية » أو حياة الفروسية البدوية وهو باب « الطرديات » .

فهل كان من المعقول — وهو على غرامه بمعجزات اللغة — أن يقرأ للشعراء الأولين منظوماتهم الطردية ولا يخطر له أن يعارضهم فيها ؟

ولكن هل كان من المعقول — مع هذا — أن ينظم فى الطرديات كما نظموا وأن يقصد القصيد ليقول لنا إنه ركب الفرس وسدد السهم وعدا خلف الطريدة وأصاب وأدمى وعاد بقنائص الطير ومصائد الوحش وصرائع الحيوان ، ليدخل بها على حليلة تنتظره فى الخباء كما ينتظر فرسان الهيجاء ؟

وهل يأذن للمعرى وقاره المطبوع ، الموروث ، أن يتقبل السخرية التى تخامر نفوس قرائه وهم يتخيلونه على حاله ويتخيلونه على دعواه ؟

إن الفزع من هذه السخرية فى ذهن المعرى تمثله لنا لمحة عابرة نقرؤها فى رسالة الغفران وهو يتخيل ابن القارح على ظهر فرس من أفراس الجنة بعد أن عرض عليه أن نركب فرسين من خيل الجنة فنبعثهما على صيرانها وخيطان نعامها وأسراب ظبائها وعانات حمرها ؟

فيقول الشيخ كما ألقى المعرى على لسانه : « إنما أنا صاحب قلم ولم أكن صاحب خيل ؛ ولا ممن يسحب طويل الذيل . . . وما يؤمنني إذا ركبت طرفاً . . . رتع فى رياض الجنة . . . وأنا كما قال القائل . . .